

في نور محمد فاطمة الزهراء

فلقد تكون ثمّة سلامة، ولكنّها مفتقرة إلى حظٍّ من الاكتمال، يتراوح به اختلاف الآراء – صعوداً ونزولاً – بين حدّ الكفاية وحضيض النقصان. ولقد تكون نجاة، ولكنّها مشوبة – قليلاً أو كثيراً – بشدائد وأهوال. هنا يصبح الخوف نوعاً من النزوع التوسّاق إلى الاستزادة من اليقين، أو يكون رغبةً عارمةً إلى الاقتراب من الطمأنينة، أو يكون شوقاً إلى جرعة من الإيمان. وهو في جميع الحالات إفراز نفسي، يتفاعل مع ما وقع في السليقة، وثبت في الجنان، وقرّ في الضمير، وعرض للعقل من محسوسات، وألهمته الروح من غيبّات، ينتج من عناصره هذه روح وأمان. وليس يخفى علينا أنّ إبراهيم سأل الله قال: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَدِّعِي الْمُؤْمِنَاتِ) قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ لِعَلِّكَ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً) [769]. فهل كان أبو الأنبياء يوم أبدى رغبته تلك إلاّ على قمة اليقين والإيمان؟ * * * ودع الزهراء تتبع – بفكرها ومشاعرها – الرسول حيث سار، دعها تتأثّر خطاه، وهي تلهج بالدعاء، وتُهيّئهم [770] بذكر الله. وما خشيتها الآن وقد أخسأ [771] زبانية [772] قريش المسلّحين، وردّهم بكيدهم فرائس للخيبة والحيرة والضياع؟ وترامت إليها أصواتهم من خارج الباب، تفضح بأهمهم [773] بالخسران، سمعت آتياً